جامعة الجيلالي بونعامة

خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم الفلسفة

السنة الثانية ماستر فلسفة عربية

الأستاذة طواهرية حميدة

المحاضرة الأولى: المنهج البنيوي.

تمهيد

طُرحت عدة إشكالات فلسفية حول القيمة الأبستمولوجية لتلك الفروع المعرفية التي تدرس الانسان وتجليات سلوكياته المختلفة، منها النفسية والاجتماعية والثقافية أو ما تسمى بالظواهر الإنسانية، تلك الإشكالات تدور حول المقاربة المنهاجية الواجب إتباعها قصد تحقيق أكبر قدر من العلمية أو الموضوعية بالموازاة مع العلوم التجريبية المادية الاخرى، في خضم ذلك، ظهر في الحقل الفلسفي المعاصر توجه فلسفي فكري جديد يدعى **بالبنيوية**، ما إن اخذ هذا التوجه يتحول الى مقاربة منهاجية يعول عليها لفك الانسداد والجمود الذي طال الفكر الفلسفي العلوم الإنسانية خاصة، كان هذا الأمر في النصف الثاني من القرن العشرين، وبالفعل، مثّلت البنيوية في حقل الفكر الفلسفي المعاصر، مجموعة متميزة و أصيلة من الدراسات و التأملات حول حقيقة الإنسان، خاصة مع ظهور أعمال الانثروبولوجي الفرنسي **كلود ليفي ستراوس**، والفيلسوف الفرنسي **ميشال فوكو** والعالم النفساني **جاك لاكان**. فما مفهوم البنيوية وماهي مبادئها؟ وهل البنيوية مذهب فلسفي أم منهج علمي؟

1/ **مفهوم البنيوية**

- من الصعب تحديد مفهوم دقيق للبنيوية، وعليه لا يمكن إعطاء تعريف شامل ومحدد لها لأننا نجد لها تعريفات كثيرة، نحاول عرض بعضها بالتركيز على النقط المشتركة لتلك التعريفات:
- كلمة بنيوية structuralisme مشتقة من كلمة بنية structure وهي بدورها مشتقة من الفعل اللاتيني struere : وهو " فعل يشير بذلك للهيئة أو الكيفية التي يوجد الشيء عليها."[1]
- أما في اللغة العربية فإن لفظ البنية مشتق من الفعل بنى ، يبني ، بناء وبناية، وبنية وقد تكون بنية الشيء - في العربية - هي تكوينه، ولكن قد تعني أيضا الكيفية التي شيّد على نحوها هذا البناء .[2]
- وإذا نظرنا إلى معنى البنية من الناحية العلمية والفلسفية فإننا نجد عدة تعريفات أهمها:
- يعرفها **لالاند** في معجمه الفلسفي على أنها "***ذلك النسق أو الكل المؤلف من ظواهر متضافرة بحيث تكون ظاهرة فيها تابعة للظواهر الأخرى، ولا يمكن أن تكون ماهي عليه إلا في علاقتها بتلك الظواهر***."[3]
- ورائد البنيوية **كلود ليفي تراوس** يقول : ***"أن البنية تحمل أولا وقبل كل شيء طابع النسق أو النظام فالبنية تتألف من عناصر إذا طرأ على واحد منها تغيير بالضرورة بحيث يحدث تغيير في بقية العناصر."*** [4]
- وكذلك **بياجيه** يقول : :« هي مجموعة تحويلات تحتوى على قوانين كمجموعة (تقابل خصائص العناصر) تبقي أو تغتني تلعبه التحولات نفسها، دون أن تتعدي حدودها،أو أن تستعين بعناصر اخرى».[5]

فالبنية عند **جان بياجي** تنطوي على ثلاثة افكار رئيسية : فكرة الكلية ،فكرة التحول ، فكرة التنظيم الذاتي.

❖ **الكـــلـية**: هي العلاقة المميزة للبنيات، وهي تكاد تكون بديهية لا تحتاج الى تفسير ، مادام جميع البنيويين ، سواء من الرياضيين أو اللغويين أو علماء النفس أو غيرهم يعترفون صراحة بذلك التعارض القائم بين البنيات structures والمجموعة التراكمية aggregates على أساس أن الأولى تشكل (كليات)wholes جميع (كل) بينما الثانية تتشكل من

---

[1] عمر مهيبل : البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر ، دبران المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ص 16.
[2] محمد مهران – محمد مدبن : مقدمة في الفلسفة المعاصرة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزي القاهرة، 2004، ص120.
[3] عمر مهبل ،البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق ، ص:16.
[4]محمد مهران ، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق ،ص121.
[5] جان بياجيه : البنيوية، ترجمة : عارف منيمة وبشيراوزي، منشورات عويدات ،بيروت ، باريس ، ط4 ،1975، ص:8.

عناصر تكون مستقلة عن المركبات التي تدخل فيها ، إلا أن هذا التميز لا يعني بالطبع إنكار العناصر التي تؤلف البنية، ومن الواضح هنا أن المهم في البنية ليس هو العناصر المكونة للكل، بل العلاقات القائمة بين هذه العناصر ، تلك العلاقات التي تخضع لقانون النسق ذاته.[1]

❖ **التحـولات**Transformations:إن الكليات (أو المجاميع الكلية) تنطوي بذاتهاعلى ديناميكية تتضمن سلسلة من التغيرات أو التحولات لا تخضع إلا لقوانيين البنية ذاتها ،ولا تتوقف على أية عوامل خارجية، فالبنية لاتظل في حالة سكون وعدم تغير، بل هي تقبل دائما التغيرات بما يتفق والحاجات المحددة من قبل علاقات النسق وتعارضاته.[2]

❖ **التنظيم الـــذاتي**self regulation : تمتاز البنية بأنها تضبط نفسها بنفسها أو تقوم بضرب من التنظيم الذاتي الذي يحافظ على بقائها ويحقق لها نوعا من الانغلاق الذاتي ، فالتحولات الكامنة في بنية معينةلا تؤدي إلى شيء خارج النسق، ولكنها دائما تولد عناصر تنتمي إليه نفسه وتحافظ على قوانينه، ولكن على الرغم أن البنية مغلقة على ذاتها ، فأن هذا الانغلاق لا يمنع من أن تندرج تحت بنية أوسع منها بحيث تصبح بنية فرعية لبنية اخرى أوسع.[1]

ظـروف ظـهـور الاتجـاه البنيـــوي :

- ظهرت البنيوية في فرنسا في منتصف الستينات من القرن العشرين ، بحيث يصفها المؤرخون بأنها فلسفة ما بعد سارتر والوجودية ، فلكل علم عوامله التي تساعده على ظهوره ونهوضه ، ولظهور البنيوية العوامل التالية :
- كانت الحرب العالمية الأولى والثانية سبب في دمار أوروبا ، فظهرت الوجودية لتبحث مشكلة الحرية الانسانية وعلاقتها بالمسؤولية والقلق والتمرد ، وهذا ما يفسر اسباب انتشار الوجودية بسرعة في شتى اتحاد اوروبا خلال القرن العشرين ، ولكن في أواخر القرن العشرين تغيرت الظروف في اوروبا ، وعادت تسع من جديد للبناء والتعمير، فبدأت الوجودية تنحصر تدريجيا لتفسح المجال أمام البنيوية.[1]
- ثورة المجتمع الأوروبي على كل جمود ومذهب فكري من شأنه أن يعرقل البناء والتقدم ، والشعور بالحاجة إلى اتجاهات فكرية جديدة مفتوحة غير مغلقة .

ـ السعي لتطوير العلوم الإنسانية لتلاحق تقدم العلوم الطبيعية لأن جميع المحاولات التي قبل ذلك لم تكن مجدية ، مثل التي قام بها **إدموند هوسرل** من خلال الفينومينولوجيا وكذلك الوجودية والماركسية وغيرها، وذلك لمغالاتها في التجريد والاهتمام بالذات الإنسانية دون العلاقات الموضوعية التي تربط بين الناس ومن هنا ظهرت البنائية في محاولة منها لتحاشي هذه الأخطاء السابقة بهدف تقويم العلوم الإنسانية عامة ودراسة الإنسان خاصة.[3] ولعّل هذا ما قصده **جان لاكروا** حين قال « البنيوية هو ذلك المنهج الذي ساعد العلوم الإنسانية في هذا العصر على تحقيق تقدم عظيم».[4]

هل البنيـويـة مـــذهب أو منهـج ؟

حديثنا عن البنيوية يجعلنا نقوم بعملية تحديد أولية تتمثل في الفصل بين البنيوية بوصفها مذهبا فلسفيا أو هي منهج علمي، هل البنيوية مذهب أو منهج ؟

هناك من يرى إن البنيوية في وجوهرها **منهج** قبل أن تكون مذهبا، انها جهد مفتوح للكشف عن الحقيقة الانسانية، وليست مذهبا جامدا مغلقا، هي منهج تحليلي وتركيبي للبناءات الانسانية بشتى مكوناتها الجزئية، وهدف هذا المنهج هو كشف العلاقات الداخلية التي تربط بين مكونات كل بناء، تمهيدا للتحكم فيها واعادة ترتيبها والارتقاء بمستواها الوظيفي .

---

[1]محمد مهران ، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، ، ص122.
[2] زكريا ابراهيم ، مشكلة البنيوية، ، ص:31.
[1] محمد مهران ،مقدمة في الفلسفة المعاصرة، ، ص 123.
[1]سماح رافع محمد : المذاهب الفلسفية ، مكتبة مدبولي ، بيروت، ط1، 1973، ص137.
[3] سماح رافع محمد، المذاهب الفلسفية، المرجع السابق،ص138.
[4] محمد مهران ،مقدمة في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق ، ص125.

نجد عالم النفس السويسري **جان بياجيه**، في خاتمة كتابه البنيوية يقول« اذا كان تاريخ البنيوية العلمية طويل بعض الشيء ، فالدرس الذي يجب أن نستخلصه من هذا التاريخ هو أن البنيوية لايمكن ان تشكل موضوعا العقيدة والفلسفة والا لأمكن تجاوزها بسرعة بل تشكل بالضرورة طريقة مع كل ماتنطوي عليه هذه اللفظة من التقنية ومن الالتزامات والترف الفكري» . [2]إذن البنيوية عند **بياجيه** هي منهج علمي وليست مذهبا فلسفيا .

كما نجد زعيم البنيوية الفرنسي **كلود ليفي ستراوس**« البنيوية ليست بأي حال من الأحوال فلسفة ، وإنما هي مجرد منهج للبحث العلمي » . ويقول كذلك « إن السمة المميزة للفكر البنيوي على نحو ما أعرفه هي في الواقع حرصه الشديد على التزام حدود العلمية التامة» .

و لو نظرنا إلى الاتجاهات الفكرية المتباينة التي نلتقي بها لدى كل من **كلود ليفي ستروس، ميشيل فوكو، جاك لاكان ، لويس التوسير** ، لوجدنا انه ليس ثمة مذهب بنيوي واحد يجمع بينهم ، لأن البنيوية التي ألفت بينهم لا تكون مدرسة فلسفية على عكس الماركسية والوجودية ، وهذا عبر عنه **جان لاكروا** ويقول: «ليس ثمة مذهب بنيوي».

فكل ما يجمع بين هؤلاء الفلاسفة، هو ذلك المشروع العلمي الذي أرادوا تطبيقه على معرفتنا الانسانية ،فالقول بان البنيوية هي أولا وقبل كل شيء ايديولوجيا ، موقف عقائدي انما يعني أن البنيوية لاتزيد عن كونها مجرد محاولة علمية منهجية لدراسة والظواهر البشرية خصوصا.

فسواء كانت البنية هي النموذج أو البناء الصوري ،أم كانت مجموع العلاقات الباطنية المكونة لوحدة أي موضوع من موضوعات العلم ، أم كانت مجرد وسيلة معرفية أكثر معقولية و أشد ملائمة لمقتضى الحال بالقياس الى غيرها من الوسائل الأخرى السابقة أو الحالية ، وسواء أكان النموذج اللغوي مثلا : هو النموذج الأساسي الاوحد الذي لابد من استخدامه في العلوم الانسانية ، ام كان من الضروري تكييف كل نموذج مع الطبيعة النوعية لكل موضوع من مواضيع البحث العلمي .[1]

وللبنيوية رسالة علمية، نأخذ مثلا : الفيلسوف البنيوي **لويس التوسير** عندما استخدم المنهج البنيوي في تحديد الفكر الماركسي متجاوزا إياه الى ما يمكن تسمية ما بعد الماركسية ، فالبنيوية بحث شمولي يسعى إلى توحيد جميع العلوم في نظام واحد وأن يفسر علميا كل الظواهر الإنسانية، فهذا البحث يجمع كافة المجالات المعرفية بما فيها الفلسفة .

<u>اعلام البنيوية</u>

- كان هناك العديد من الفكرين والعلماء الذين ساهموا في تكوين البنائية وعملوا على ابرازها في شكل واضح ومتكامل وذلك من خلال المؤلفات والدراسات ، فمن ابرز البنيويين <u>نجد</u> :
- يعد العالم اللغوي السويسري **فردنان دوسوسير**Ferdinand de Saussure(1913/1857) المؤسس الحقيقي للحركة البنيوية الحديثة من خلال كتابه الهام **"دروس في الألسنية العامة"** الذي صدر سنة 1916 ، والذي ضمنه دراسة علمية بنيوية مستفيضة فصل فيها بين **اللغة والكلام** ، بحيث تصبح اللغة بحسبه نسق من العلامات منظما عضويا، هذه العلامة تتكون من صورة صوتية هي (الدال) وتصور ذهني هو (المدلول)وفي هذا يقول لبيان أن اللغة لا يمكن أن تكون الامنظومة من قيم مجردة يكفي الأخذ في حسبان اعتبار العنصرين الذين يشاركان في

[2] جان بياجبه ، <u>البنيوية</u>، مرجع سابق ، ص111.
[1]ابراهيم زكريا ، <u>مشكلة البنيوية</u>، مرجع سابق ،ص 22.

وظيفتهما وهما : الأفكار والاصوات ، فكل شيء انما يتم بين الصورة وذلك ضمن حدود الكلمة مقدرة كمجال مغلق موجود في ذاته. [2]

ـ ومن اشهر مؤسس للبنيوية هو العالم الانثروبولوجيا والفيلسوف الفرنسي **كلود ليفي ستروس** ، من أهم كتبه : البنى الأولية للقرابة 1949 ، الجنس البشري والتاريخ 1952، الانثروبولوجيا البنيوية 1958 ، الفكر البري 1962 .[1]

وأهم دراسات شتراوس في مختلف مجالات الأنثروبولوجيا ففي دراسة **للعقل البدائي** خاصة والعقل الانساني عامة، أن يؤكد فكرة أن العقل موجود كموضوع طبيعي له اساس عام مشترك بين كافة الأجناس البشرية، محطما بذلك النظرة التقليدية للعقل الانساني باعتباره يختلف من عصر إلى آخر ومن مجتمع إلى غيره.[2]

وضمن البنائيين الفرنسيين نجد **لويس التوسير** الذي هو في حقيقته ماركسي النزعة ، لكنه اعاد دراسة الفلسفة الماركسية ومنهجها الجدلي ، يهدف تطويرها لتساهم فعليا في تقدم الانسان والارتقاء بالمجتمع ومن أشهر مؤلفاته **" قراءة راس المال"** اشترك فيه مع اثنان من الماركسيين الفرنسين ، وقد حاول في هذا الكتاب أن يوسع افكار **ماركس** في رأس المال ولا يجعلها قاصرة على النواحي الاقتصادية أو السياسية الجامدة وانما أضفى عليها الكثير من الدراسات اللغوية والتاريخية و الفلسفية لكي لاتقتصر الماركسية على دراسة البناء الاقتصادي ، وانما تتعداه الدراسة الأبنية الأخرى في الانسان والمجتمع على السواء .[3]

---

[2] عمر مهيبل: البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق ، ص 21-20.

[1] ايديثكريزويل : عصر البنيوية ، تر: جابر عصفور ، دار سعاد الصباح ، ط1، 1993، ص 36-35.

[2] سماح رافع محمد :المذاهب الفلسفية، مرجع سابق ، ص143.

[3] المرجع نفسه ،ص 141.

المحاضرة 2 المنهج الأركيولوجي.

كلمة اركيولوجيا ، علم الأثار ، مشتقة من اللفظ اليوناني اركيه archéأو ارخايوسarkhaios الذي يعني القديم ، و نحن نعرف أن دراسة الأثار القديمة تستلزم القيام بحفريات من أجل استخراج أثار الماضي من طوايا الأرض ، و العمل على إعادة تركيب تاريخ الحضارات القديمة و لكن الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو لا يستخدم هذا المصطلح بهذا المعنى المتداول ، هو يرمي أولا إلى دراسة أرشيف كل عصر، من أجل الكشف عن المجال المعرفي والابستمولوجي ، الذي يشكل كل تجاربه و معارفه و مناهجه، أو كأنما هو جماع مبادئه القبلية الأولية .[2]

و في هذا يقول ميشال فوكو : لقد استخدمت مصطلح أركيولوجيا في معني مجازي لأدل على شيء يكون هو **الارشيف ، وليس اطلاقا اكتشاف بداية ما أو أحياء رفات الماضي الميت ، و في هذا السياق نفسه نقرأ** هذا التعريف الذي يعطيه لكلمة ارشيف ، ما اسميه ارشيف ليس هو مجموع النصوص التي احتفظت بها حضارة ما ، و لا مجموع الآثار التي أمكن إنقاذها من التلف، و لكن مجموع القواعد التي تُحدد داخل ثقافة ما، ظهور و اختفاء الخطابات و تلاشيها.[3]

و عن **الأرشيف** أيضا يقول :"نجدها داخل سمك الممارسات الخطابية ، و أمام منظومات تقيم عبارات، مثلما تنشئ أحداثا (لها شروطها و ميدان ظهورها) و أشياء تتضمن اسكانيتها و حقل استعمالها، فجميع منظومات العبارات تلك الاحداث من جهة و الاشياء من جهة آخرى هي ما اقترح تسميته نظام احتفاظ العبارة و ظهورها ".[6]

و الاركيولوجيا لا تكتفي بالوصف و التحليل، لكن مهمتها هي أن يكشف التمفصولات الخطابية وتحولاتها عبر التاريخ. [7]

و هي كذلك تصف **المنطوق** الذي يمثل أصغر جزء في **الخطاب،** وصفا قبليا و تاريخيا، و في مختلف الوظائف التي يقوم بها في فترة تاريخية معينة، و ضمن التشكيلات الخطابية التي ينتمي إليها ، " **فالاركيولوجيا وصف للخطاب كممارسات مجسدة في عنصر مادي هو الارشيف**."[1]

تتميز التحليلات الخطابية عند "ميشيل فوكو " كالتالي:

- بأنها لا تتساءل عن التسلسل التاريخي و لا عن معاني النصوص و إنما تتساءل عن شروط ظهور مختلف الخطابات في التاريخ هذا ما يؤدي إلى تحليل الخطاب في بعدها الخارجي و ذلك بوصف الخطاب في ماهياته الخاصة، لأن البحث الأركيولوجي في الخطاب ليس بحثا عن

---

[2] ابراهيم زكريا ،مشكلة البنية، مرجع سابق، ص 119.

[3] عبد الرزاق الداوي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، مرجع سابق ، ص139-140 .

[6] ميشيل فوكو : حفريات المعرفة، تر : سليم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، 1987 ، ص119.

[7] ميشال فوكو: الكلمات و الاشياء ، ترجمة مطاع واخرون ، مركز الانماء القومي ، بيروت, لبنان ، دون ط ، 1989.1990 ، ص 09 .

[1] الزواوي بغورة،المنهج البنيوي, ، ص 209.

قواعد بنائه كما يفعل البنيويين و إنما البحث فيه يتم لمعرفة شروط و جوده ، و كذلك ارجاع الخطابات إلى الممارسات الخطابية و غير الخطابية أو إلى الميدان العلمي الخاص به ، و ليس ارجاعه إلى الروح أو الذات الإنسانية المبدعة .[2]

- الاركيولوجيا هي كذلك بحث صوري و مجرد عن كل سياق بشري أو تاريخي ، يهدف إلى الكشف عن القواعد الصورية لتشكل الخطابات في فترة زمنية معينة [3].فالاركيولوجيا هو منهج الاكتشاف والنسق الذي يبحث عنه هو "**الابستيمي** ".

الابستيمي كبنية معرفية كبرى :

- أثبت مشيل فوكو بوجود نظام خفي وراء ظهور و نشأة المعارف في كل عصر معين ، فهو يقول عن نفسه بأنه أول من برهن على وجود ترابط ابستيمي عميق بين مختلف أنواع جميع المعارف السائدة في فترة زمنية معطاة في عصر معين و اكتشافه هذا يسمى **الابستيمي** يقول : " ليس هناك ، في ثقافة معينة و في فترة زمنية تاريخية محدودة ، سوى إبستيمي واحدة ، هي التي تحدد شروط الإمكان بالنسبة لكل معرفة ، سواء تلك التي تظهر في نظرية ما، أو تلك تستثمر ضمن الممارسة" .[4]

فالابستيمي إذن هي الخلفية التي تكمن وراء المعرفة في عصر عين ، فهي البنية التحتية التي تحدد أشكال المعرفة ، و المنهج الأركيولوجي هو الذي يجعل هذا النظام يتحدث ويتكلم و ينعني كذلك مجموعة العلاقات التي يمكنها أن تجمع في مرحلة معطاة الممارسات الخطابية التي تتضمن أوجه ابستمولوجية عدة في العلوم المرتبطة بأنساق مكونة من جهة ، و من جهة أخرى هو ليس شكلا من اشكال المعرفة،أو نمطا من انماط العقلانية يظهر وحدة موضوع البحث في فكر معين او مرحلة معينة من خلال اختراقه لمجالات العلوم المختلفة ، بل هو مجموع العلاقات التي يكمن أن نكتشفها في مرحلة معطاة بين العلوم عندما نقوم بتحليلها في مستوى الانتظامات الخطابية .[1]

و الابستيمي يتشكل حسب **فوكو** من شبكة مفهوميه تؤسس ما يسميه *بالأوليات التاريخية* **Apriori historique** أو الشروط القبلية لا مكان ظهور المعارف في مرحلة تاريخية معينة ، وهذه الأوليات هي التي تسمح بنشوء معرفة ممكنة ، فالأوليات شروط قبلية لظهور المعارف في فترة زمنية محددة ، لا تستمر إلا خلال تلك الفترة فقط ، وتتخلى عن مكانها لأخرى عندما تستنفد وظيفتها ، و الأوليات ليست من اختصاص تاريخ الأفكار و لا تاريخ العلوم و لا التاريخ بصفة عامة ، إنها الموضوع المفضل للاركيولوجيا . [2]

---

[2]المرجع نفسه ، ص 211.

[3]عبدالرزاق الداوي ، فلسفة موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، مرجع سابق ، ص 140.

[4]المرجع نفسه ، ص 142 .

[1]عمر مهيبل، من النسق الى الذات، ص 41.

[2]عبد الرزاق الداوي، موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص 145

أي يعني في كل فترة أو مرحلة تاريخية محددة هناك ابستيمي واحدة ، أو بنية معرفية واحدة هي التي تنظم انطلاقا منها و حولها جميع المعارف، وهذا بالضبط لب البنيوية وفق الاستعمال الفوكوي.

فما علاقة، إذن ، مشروع فوكو " الأركيولوجيا البنيوية " بتاريخ العلوم و الابستومولوجيا؟

يوجد بين هذين الفرعين المعرفيين وبين الاركيولوجيا نوع من الاهتمام المشترك بإشكالية نشأة العلوم و المعارف و تطورها، و اعتمد فوكو عليها لجمع و تنظيم المادة المعرفية التي تسلمها ابحاثه .

ولكن هناك فرق بين الاركيولوجيا البنيوية و الابستمولوجيا و يتمثل فيما يلي :

- تحليلات فوكو الاركيولوجية لا تنصب على ميدان العلم بالمعنى المتعارف عليه كما هو بالنسبة للأبستمولوجيا ، بل على ميدان العلم بصفة عامة ، أنها قبل كل شيء اركيولوجية المعرفة و الأبحاث التي تقوم بها تشمل ميدان المعارف المنشاة حول الانسان في فترة الحداثة ، فهي إذن اركيولوجيا للعلوم الإنسانية .
- تختلف المبادئ التي توجه الاركيولوجيا عن تلك التي توجه الأبستمولوجيا ، ففوكو يزعم أنه يدرس المعارف بعيدا عن أي غاية أو علاقة بهدف خارجي عنها يكون هو الحقيقة التي تنشد بلوغها ، فهو لا يكترث بنمو العقلانية و تفتحها ، و لا باتساع مجال الموضوعية و لا بعمق الحقيقة.
- ليس هدف الاركيولوجيا إطلاقا هو تقديم نظرية جديدة للمنهج العلمي ، و لا تأسيس نظرية عامة عن المعرفة ، لأن المعرفة تنحل أو تتفكك في بنيات أو ابستيمات ، تتعاقب بدون ضوابط و بدون أن يكون لها تواصل أو ارتباط ، أي أن الاركيولوجيا لا تسعى إلى تطلعات علمية، يقول هنا فوكو:" أنني لم أقدم أبدا الاركيولوجيا كعلم ولا كأسس أولى لعلم قد ينشأ في المستقبل "[1].

إن مفهوم تاريخ المعرفة الذي تعتمده الاركيولوجيا ، لا يسمح بالارتداد أو الرجوع إلى الماضي للبحث عن شروط التكوين والنشأة ، ففوكو فكل أساس في ظاهرة الانفصال والاختلاف في المعرفة ، إنه يرفض أن ينظر إلى العلم المعاصر على أنه صالح لاتخاذه كمعيار للتقييم النقدي.

<u>الخطاب المعرفي</u> :

لقد خص فوكو الخطاب بكتابين أساسيين هما اركيولوجيا المعرفة و كتاب نظام الخطاب ، فمن المعروف أن الخطاب هو ما يظهره الكلام ، كما أن كلمة خطاب تعبر عن الجدل ، العقل ، النظام .

فما هو الخطاب ؟

الخطاب هو مجموعة من المنطوقات أو الملفوظات ، التي تكون بدورها مجموعة من التشكيلات الخطابية المحكومة بقواعد التكوين و التحويل ، و على هذا الأساس يختلف الخطاب عن الجملة

[1] مرجع نفسه ، ص146- 147 .

في اللغة و القضية في المنطق، كما يختلف التحليل الخطابي الالسني أو التحليل المنطقي سواء من حيث المرجعية أو المنهج .[2]

ويعرف فوكو الخطاب فيقول :"هو أحيانا يعني الميدان العام لمجموع المنطوقات و أحيانا أخرى مجموعة متميزة من المنطوقات و أحيانا ثالث ممارسة قواعدها تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات و تشير إليها[3].

تحدث فوكو عن الخطاب ، و الممارسة الخطابية بدءا من تاريخ الجنون حيث يقرر التقليد الانساني ، قد نظر إلى الجنون باعتباره جزء من عالم الخطاب ، و يتم التعرف على الجنون كخطاب ، أو كمعرفة خطابية ، و هو ما يتماثل و الاشتقاق الفلسفي للخطاب ، كما أن الخطاب مجال للجنون تعمل الاركيولوجيا على وصفه و تحليله ، و نجده كذلك في مولد العيادة و خاصة في المقدمة يتحدث فوكو عن كيفية بناء الخطاب و منهج تحليل الخطاب و التشكيلة الخطابية .[1]

و في كتابه الكلمات و الأشياء قسم فوكو الفكر الغربي إلى ثلاثة حقب تاريخية انطلاقا من تشكل نظام معرفي بكل حقبة ، فعصر النهضة يتأسس على نظام التشابه مما يعني أن فهم خطابات هذا العصر لا يمكن فهمها إلا انطلاقا من هذا النظام فهي بمثابة المقدمات أو الأسس التي ينقلب منها ، و تتشكل بالتالي من خلالها المعرفية و السياسية و الفنية ، يلي عصر النهضة العصر الكلاسيكي ، المتمثل في القرنيين السابع و القرن الثامن عشر، ويسود هذا العصر النظام و الترتيب ، إما العصر الحديث القرن التاسع عشر ، أصبح التاريخ أو الإنسان التاريخي هو المقولة الأساسية في هذا العصر ، يؤكد فوكو أن الإنسان لم يكن موجودا قبل القرن الثامن عشر ، بمعنى أنه لم يكن هدف التفكير و لا منطلقه الأساسي أي أن تفكير الإنسان لم يكن إنسانيا .

من المهم التوقف عند مصطلحين استعملهما فوكو في إطار نظريته في الخطاب ، و هما الاركيولوجيا والجيولوجيا فموضوع الاركيولوجيا عنده ليس اللغة و إنما الأرشيف أي الوجود المتراكم للخطابات فالاركيولوجيا كما يقول ليست جيولوجيا أي تحليل للطبقات الأرضية و لا جنيالوجيا أي وصف للبدايات و التواريخ و إنما هي تحليل للخطابات في صيغة أرشيف فالأرشيف إذن هو موضوع الاركيولوجيا و التحليل الاركيولوجي، باعتباره ممارسة خطابية لهل قواعدها و شروطها و مبادئها في وصف الخطابات و تشكلهاوتحولها و شروط ظهورها و تراكمها و تسلسلها و أشكال و جودها و انتقائها أو تلاشيها وصاغتها .[2]

يقول فوكو أكثر من مرة، دع المقال يتكلم...

كان هدف فوكو تحليل دور المعرفة في علاقتها بالنظم و المؤسسات و ذلك لكي يكشف عن علاقات السلطة داخل المقال ، و التي ينشط المقال ابتداء منها فينعكس ذلك مرة آخرى على هذه النظم و تلك المؤسسات و لقد كانت المسلمة الأساسية في المنهج عند فوكو هي

---

[2]الزاوي بغورة ، المنهج البنيوي ، مرجع سابق، ص 208

[3]الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الاعلى للثقافة ،الكويت، ط1 ، 2000، ص 94- 95.

[1] مرجع نفسه،ص 93

[2] مرجع نفسه ، ص 114

أولا:عدم الالتزام بالقطاعات المعرفية المعترف بها ، و القطاع المعرفي و هو ما يسمى" علما "ليس في الحقيقة سوى مجموع من القضايا تطبق على العديد من الوقائع المتفرقة ، إذ ينبغي ألا نرى في هذه القطاعات المعرفية سوى وقائع مقالية .

ثانيا : لكي لا نبتعد عن مستوى المقال و لكي يظهر تفرد هذه الوقائع المقالية ، ينصح فوكو بوصف جميع الوحدات التي تكونت بفعل عمليات مفسرة أي تسلل إليها العنصر الذاتي ، و أول هذه الوحدات هو "الكتاب" ولا يغيب عنها بهذا الصدد أن هدم الكتاب إنما يعني هم الاعتراف بأي مؤلف .

ثالثا: التخلص من الأفكار العامة التي تضمن باستمرار لا متناهيا للمقال و التخلص مناي عنصر يدعي إقامة استمرار ليس له مايبرره بين عدد من الشواهد المقالية ، و يتبع ذلك الابتعاد عن التفسيرات التي تعتبر المسار التاريخي متصلا .

رابعا : التخلص من مفاهيم مثل التقليد و التأثير و النمو و التطور و العقلية و النفس و يترتب عن كل ذلك نتجنب التأليف السيكولوجي أي تقدمة الذات من تأليفات سيكولوجية.[1]

" فالمقال(الخطاب) **مستقل بذاته و يتكلم عبر التاريخ و الإنسان**."

ما مفهوم المنطوق عند فوكو؟

المنطوق درة الخطاب ، وحدته الأولى وعنصره الأخير ، يتماثل مع الجملة والقضية و الفعل اللساني و يختلف عليهم ، يقول فوكو: قد استخدمت فى مناسبات عديدة لفظ منطوق ، إما لاشي ربه إلى عدد من المنطوقات ، أو لا ميزه عن تلك المجموعات التي اسميها الخطابات مثل ما يتجزأ ، الجزء عن الكل ويبدو المنطوق كعنصر أخير ، أو جزء لا يتجزأ ، قابل لأن يستقل بذاته و يقيم علاقات مع عناصر أخرى متشابهة ، فالمنطوق هو أبسط جزء في الخطاب .[2]

ويتضح من خلال هذا التعريف أن المنطوق جزء أساسي من الخطاب فهو الوحدة الأولى ، للخطاب كعلاقة الجزء بالكل إلا أنه يتميز عن الخطاب في كونه يستطيع أن يستقل بذاته،أي ليس مشروطا بالخطاب ، كما أنه يقيم علاقات مختلفة من مثل ميدان الخطاب ، التشكيلة الخطابية ، و التحليل الخطابي .[1]

كيف يتكون الخطاب (المنطوق) :

يقول فوكو لقد استخدمت كلمة منطوق للإشارة إلى أحداث مفردة في مقابل هذه المجموعات التي نسميها مقالا ، و يظهر المنطوق لأول ولهة كعنصر لا ينقسم ، و يمكن أن يستقل بذاته ، و بإمكانه أن يدخل في علاقات مع عناصر أخرى مماثلة ، أن المنطوق هو درة المقال ، بحيث يرى فوكو أن أي رموز تألفت بطريقة مادية حرفت و تجمعت بطريقة عشوائية بعيدا عن أي قواعد للنمو أو الصرف ، يمكن أن تكون خطابا منطوقا على شريطة أن يكون لها شيء آخر

[1] الزاوي بغورة ، مفهوم الخطاب في فلسفة مشيل فوكو ، المرجع نفسه ، ص 37 – 38 .
[2] المرجع نفسه ، ص 95 .

علاقة خاصة ، و إذا قيل أن هذه العلاقة "الدال بالمدلول" أو هي علاقة الإسم بما يشير ، أو علاقة الجملة بمعناها ، فإن فوكو يبين أنها لا يمكن أن تتطابق مع أي من هذه العلاقات فالاسم هو عنصر لغوي يمكنه أن يحتل مكانا في مجموعة نحوية فضلا عن أنه يعرف بإمكانية تكراره ، إما المنطوق فأنه يوجد بعيدا عن أي احتمال لظهور جديد .[2]

و من جهة نظره أن علاقة القضية بالواقع لا يمكن أن تكون أنموذجا أو قانونا لعلاقة المنطوق بما يعبر عنه ، فهذا الأخير ليس منتميا إلى مستوى آخر ، بل يبدو و كأنه سابق على القضية ، ولا ينبغي أن نخلط العلاقة بين منطوق و ما ينطق به بعلاقة الجملة و بمعناها ، فالتباعد بين هذه النوعين من العلاقات إنما يظهر جلا في حالة الجمل الخالية من أي المعنى رغم سلامتها من الناحية اللغوية أو النحوية كما في المثال التالي :

"إن الأفكار الخضراء لا لون لها تنام نوما عميقا" ، احتمال أن تكون هذه الجملة سردا لأضغاث أحلام و احتمال ان تكون الجملة مقتطفة من نص شعري ، و احتمال أن تكون رسالة سفرية ، و احتمال أن تكون الجملة هديانا صادرا تحت تأثير المخدر ، ويبقى أن تكون جملة نمطا معنا للمنطوق تربطه علاقة محددة بالواقع المرئي ، فهو يرى أنه يوجد داخل علاقة منطوقية محددة و ثابتة امكانية ان تحدد العلاقة بين الجملة و معناها .[3]

وخلاصة قولنا في هذا المبحث أن فلسفة ميشيل فوكو تنتسب للبنيوية بشكل أو بآخر، ففوكو واصل ما بدأته البنيوية في هدمها للذات الإنسانية ، فهو لم يرض بما وفرته البنيوية وراح يبحث عن شيء جديد أكثر تجاوبا مع تطلعاته فأمزج المنهج الاركيولوجي بالبنيوية للبحث عن أسس النظم المعرفية الابستمولوجية ، و ما يبين كذلك انتمائه للبنيوية طبيعة أرائه حول اللغة و نهاية الذات و الوعي و القطيعة التاريخية تجمعه في مذهب واحد مع البنيويين .

[2] عبد الوهاب جعفر، البنيوية بين العلم والفلسفة عند مشيل فوكو ،مرجع سابق، ص 42 -45 .
[3] المرجع نفسه ، ص 46 -47 .

المحاضرة 3 : **المنهج الفينومينولوجي** .

-1ضبط المفهوم:

الفينومينولوجيا *(La phénoménologie)* مشتقة من الكلمة اللاتينية *phénomenon* أي الظاهر/ الظاهرة ، في مقابل *Nomenon* أي الباطن ، و الظاهرة تعني الحوادث الملاحظة بواسطة الحواس والتي تدور حولها المعرفة عامة.

ـ في المعجم العربي، نجد الظاهراتية أو الظواهرية، نسبة الى فعل ظهر/ يظهر، أي تبدى للعيان عند "*إدموند هوسرل*" يفهم من لفظ الظاهرة أنها ما يظهر بذاته كعنصر أصيل لا يُرد الى غيره، كما أنه لا يحجب شيئا وراءه كالجوهر مثلا.

أما *الفينومينولوجيا* كمنهج وعلم، فهي علم ظواهر الوعي والمعرفة، أي كل ما يدخل في سياق الوعي من افعل وانفعالات وأفكار وأحاسيس ومن ثم يتم وصفها كما هي. كما أن الفينومينولوجيا تدخل في نطاق فلسفة الماهية، لأنها تبحث عن طرق *ظهور الماهيات* على مستوى الوعي أو الشعور.

* رائد الفينومينولوجيا في الفلسفة الغربية المعاصرة هو الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل *Edmond Husserl* (1859/ 1938) الذي ركز جهده الفلسفي لتحيق غاية فلسفية وهي الكشف عن بداية جذرية للفلسفة والتي يمكن بواسطتها أن تقدم *الفلسفة نفسها كعلم*، خاصة بعد أزمة المنهج الذي أصاب الفلسفة والعلوم في بداية القرن العشرين.

2 تاريخ المفهوم: يجمع معظم الباحثون أن أول استعمال للفظ الفينومينولوجيا كان على يد الفيلسوف الألماني لامبرت *Lambert* (1764)، ثم استعمله إيمانويل كانط *Kant* (1786) ومنه هيجل في كتابه المعروف " فينومينولوجيا الروح" 1807 . لكن أول من استعمل لهذا اللفظ للدلالة علة منهج فكري واضح المعالم كان مع *إدموند هوسرل*، وشهد أول تطورله في ألمانيا ما بين الحربين العالميتين وكان من أبرز تلاميذه مارتن هيدغر ثم انتقلت الفينولينولوجيا إلى فرنسا مع سارتر وميرلوبونتي وغيرهم.

* إن المنهج الفينومينولوجي هو منهج للرؤية الذهنية قصد العودة إلى الأشياء ذاتها، أي الرؤية المباشرة للأشياء كما تبدو لنا في الوعي أو الشعور، ومن ثم في عملية وصف. لذلك يشترط هوسرل بعض المراحل لهذا المنهج:

1 **ـ تعليق الحكم**: عدم اتخاذ أي حكم بصدد الأشياء المادية الموجودة خارج الذات، أي خارج الشعور أو الوعي، قبل أن تتم عملية الإدراك. أي أنه علينا قبل عملية الإدراك وضع تلك الأشياء بين قوسين، ووضعها أيضا خارج مجال انتباهنا، وبتعبير آخر، يجب البدء بقضايا موضوعية نقبلها جميعا دون أدنى شك، لكي نؤسس معرفة يقينية، ولتحقيق هذا الأمر لا بد من البعد عما هو تجريبي والتخلص من أي *افتراضات سابقة* أو *أحكام مسبقة* مهما بدت لنا راسخة، كما لا ينبغي أن نبحث عن **اليقين** في القضايا التجريبية لأنها مجرد قضايا احتمالية .
2ـ **قصدية الشعور**: البحث عن القضايا اليقينية في الشعور أو الذات، لأنني لا أشك في وجود خبرات الذات أثناء شعوري بها، وهي خبرات خالية من الافتراضات والأحكام المسبقة، وأفكار

الشعور هي معطيات مباشرة وهي الظواهر بالمعنى الدقيق للكلمة، أي بناء الماهية في الشعور، والانطلاق من الداخل وليس من الخارج، *لان الشعور أصبح ذاتا وموضوعا في نفس الوقت* .

3- **الرد الفينومينولوجي**: أي القيام بعملية تحليل أفعال الشعور باعتبارها موجهة نحو مواضيعها، تحكمها قصدية نحوها. فلا وجود لفعل ليس له موضوع، كما أن كل فعل هو فعل موجه نحو موضوع معين .

4- **وصف الماهيات** وصفا يوضح ويحلل دون الاعتماد على أي معطيات مسبقة، فماهية شيء ما هي المعرفة الضرورية بذلك الشيء. كما أن ماهية الشعور هي دوما شعور بشيء ما. وبتعبير آخر القيام بعملية إيضاح حتى لا تختلط الماهيات، لأن المنهج الظاهراتي هو أيضا منهج يتوخى الإيضاح. والإيضاح هو غاية الفينومينولوجيا كما يقول هسرل " هي العودة الى الاشياء ذاتها".

وترتكز فلسفة هوسرل الظاهراتية على نقد واستئناف **الكوجيطو الديكارتي** (الفكرة القائلة أنا أفكر، أنا موجود) باعتبار الفكر اساس الوجود وكاف لوحده لإثبات وجود الانا أو الذات أو العالم. لكن هسرل ينتقد الكوجيطو للأسباب التالية :

-الكوجيطو مبدأ لا يؤسس كل تجربة.

-لا يقوم الكوجيطو على أساس آخر، وهذا يضع حدا لعملية التراجع اللامتناهية للوراء بحثا عن أساس للأساس...

- استحالة التفكير في للاشيء أو العدم لأن كل تفكير في دائما في شيء ما ، أي في موضوع معين وبالتالي لا يوجد فكر خالص دون موضوع مصاحب له .

- الكوجيطو الهوسرلي: "*أنا أفكر - في شيء ما - إذن أنا موجود*."

- هوسرل يقبل بوجود العالم، ولا يشك في وجوده وإنما **يعلق الحكم** على وجوده أو عدم وجوده. أي أنه يضع وجود العالم بين قوسين (الإيبوخي). وهذا الاختزال الفينومينولوجي الذي يتم عبر تعليق الحكم يضعنا وجها لوجه أما الوعي بالعالم، وبالتالي البحث عن ماهية الوعي في مواجهة العالم .

ويكشف تعليق الحكم عن بنية أساسية للفينومينولوجيا وهي **القصدية**. وهي الخاصية الأساسية التي يتصف بها الوعي وهي " كونه موجه دوما نحو موضوعه "، فالقصدية هي الوعي بشيء ما. فنمط وجود الوعي يختلف عن نمط وجود الأشياء المادية، لذلك فبنية القصدية تميز ما هو نفسي عما هو مادي. فليس الوعي مجالا مغلقا توضع فيه الصور والإدراكات الحسية، وإنما الوعي هو قصدية منتجة للمعنى، فإدراك شجرة على سبيل المثال ليس هو تخيلها، فللقصدية دور هام في عملية الإدراك: فنحن لا ندرك إلا مظاهر الأشياء، أي ما يسميه هوسرل الخطاطات العامة للأشياء، الخطوط العريضة أو الخطاطات المختزلة للأشياء والتي تتطلب وجود قانون يوحدها. والقصدية تمكن من تقديم المعطيات الناقصة بشكل استباقي وتسمح للذهن بملء الفراغات التي تسبب فيها الإدراك، وعملية التوحيد والاستباق في تقديم المعطيات الناقصة تشكل الموضوع المكتمل للوعي . (افق العالم التي توجد فيه الأشياء لها معنى فينومينولوجي).

وعلى سبيل المثال: لما ننظر إلى شخص معين انطلاقا من جزء فقط من جسمه، لما ننظر إليه من ظهره فقط أو من جانب من جانبيه، بحيث تخفي عنا عملية الإدراك المعطيات الأخرى، فلا

يتم التوقف عند الجزء الذي أدركناه، وإنما تقدم القصدية الخصائص الأخرى التي أخفاها الإدراك. فالقصدية تقدم قانونا يقوم بتوحيد الخطاطات العامة التي وفرها الإدراك والمعطيات الضرورية الأخرى التي أخفاها الإدراك لاكتمال الموضوع في الوعي .